

ميريدا

آثار من حضارة المايا ومعمار شبيه بالأندلس

< حبيب سلوم

سألت صديقاً منذ بضعة سنوات، بعد أن كان قد قام برحلة طويلة إلى يوكاتان، أرض أهرامات المايا الشهيرة في المكسيك، "ما هو المكان الأكثر بقاءً في ذاكرتك من رحلاتك؟" فأجاب من دون أي تردد: "مدينة ميريدا الجميلة البيضاء، وهي جوهرة إسبانية، تنتظم في قلادة من روائع المايا". وشكّلت كلماته صورة باقية في ذهني لسنوات.



Marketplace

السوق



Colonial Past

ماضي استعماري

بشوارعها المختنقة بالسيارات. ومع ذلك، فمن السهل استكشاف المدينة القديمة سيراً على الأقدام. وتقريباً، يمكن الوصول إلى جميع المباني التاريخية في ميريدا سيراً على الأقدام من زوكالو- وهو مركز المدينة الأخضر والمفعم بالظلال، ويعكس طابعاً أندلسياً.

والكاندراية التي تشبه القلعة إلى حد كبير، هي أقدم كاتدرائية في الأمريكتين، وبنيت من حجارة معبد من معابد المايا، والبلاسيو دي جويرينو، له 27 جدارية عملاقة تروي التاريخ الملئ بالأحداث لشبه جزيرة يوكاتان؛ والمبنى البلدي ذو النمط الإسباني؛ و الكاسا دي مونتيو التي تعود إلى عام 1549م، وهي المنزل السابق لفاتحي يوكاتان ومن أقدم المباني الاستعمارية فيها ميريدا، كلها تحف الزوكالو.

ولكن نظراً لبشاعة حركة المرور فإن الأحد هو اليوم الوحيد الذي يمكن للمرء أن يتمتع فيه بالمدينة. وطوال يوم الأحد، تسد الشوارع

المايا مركز الكون، أو النقطة التي تقاطع عندها كل الجهات. وهذا الماضي السابق على عهد الاحتلال الإسباني ظلّ يراود المدينة منذ ذلك الحين. على الرغم من أنها تبدو أكثر أوروبية من أي مدينة أخرى في المكسيك، إلا أنها تبقى ماياوية جداً.

ولقرون، ظلت ميريدا، التي أطلق عليها الفاتحون هذا الإسم تخليداً لاسم مدينتهم في إسبانيا، أهم معقل من معاقل الاستعمار الإسباني في أرض المايا. وكانت، في أيامها الزاهرة، من أغنى عواصم الولايات في المكسيك، واليوم، فإن المدينة مزدهمة وكوزموبوليتية، وملينة بالتاريخ والرومانسية، وهي المركز الثقافي لليوكاتان، وخصائص ميريدا أصبحت مثل المغناطيس، فهي تجذب الناس من زوايا العالم الأربع.

ويفرح الزوار بتنوّع الأهالي فيها، وبثروتها من الهندسة المعمارية الإسبانية، ولكن ليس

الآن، وأنا أمشي في شوارع هذه المدينة، مفتوناً بمبانيها ذات الطابع الأندلسي، تذكرت وصفه لهذه المدينة شبه الأندلسية. غير أنني وجدت أن كلماته لا تعبّر، نوعاً ما، عن الواقع. فقد تلاشى البياض مع تقادم الزمن، وتفاقم زحام السيارات، ولكن العديد من المباني ذات الواجهات المهيبه، والأبواب الخشبية المنحوتة والممرات، والتي تخفي أرضاً مبلطة بالرخام الجميل وحدائق خضراء، ذكرتني بالأندلس. ويمكن للمرء أن يرى بسهولة أن هذه المدينة، التي يسكنها نحو مليون ونصف مليون نسمة، احتفظت بالكثير من سحر ماضيها الاستعماري. ولكن ليس بياضها التي كانت في وقت من الأوقات مشهورة به.

ميريدا، عاصمة لولاية يوكاتان، والمركز التجاري الرئيسي، يعود تأسيسها إلى عام 1542م عندما أقامها الإسبان على قمة أطلال المايا في مدينة ثيو (المكان ذو الخمس نقاط)، وهي عند

ونحن نستمتع بأكل السمك، استعدت في ذاكرتي استكشاف المدينة الاستعمارية، وأطلال المايا والشواطئ المشمسة مثل تلك التي تمتد أمامنا، وجميعها بمثابة بطاقات تجذب السياح إلى مقاطعة يوكاتان في المكسيك وعاصمتها شبه الأندلسية، ميريدا. ■

كيف تذهب إلى هناك

ميريدا لها مطار يرتبط جيداً بمدينة مكسيكو.

حقائق عن ميريدا

1 في ميريدا، الشوارع مزدهمة دائماً تقريباً. إيجار سيارة صغيرة يكلف حوالي ستين دولاراً في اليوم، وأقل من ذلك إذا ساومت أو إذا لم تهتم بنوع السيارة.

2 العملة المكسيكية الرسمية هي البيزو، وحالياً نسبة التبادل التجاري هي 11 بيزو للدولار الأمريكي.

3 الإكرامية لمن يساعدون في حمل الأمتعة وللفراشين هي دولار واحد لكل حقيبة، وللخدمات دولار عن كل يوم وخمسين سنتاً لعاملات الغسيل.

4 في ميريدا أفضل أسواق الحرف اليدوية في يوكاتان والتي تشمل الأراجيح، والأحزمة، والصنادل، والأكياس، وحاجات مطرزة باليد، وقبعات من ألياف النخيل، والقمصان والعديد من المنتجات الحرفية الأخرى. كاسا دي آرزان (بيت الحرفيين) هو مكان شراء منتجات الحرف اليدوية ذات الجودة العالية.

5 الطعام اليوكاتاني الأصلي هو شوربة دي ليما، وهي مصنوعة من حساء الدجاج والسلاحف والعصير الحامض؛ البوشيرو، وهو مرق اللحم والخضر؛ البولو بيلي، وهو دجاج مخلل مطبوخ في أوراق الموز؛ بابادازوليس، أو سندويشات البيض، والصلصا الحارة هي من صميم الغذاء في يوكاتان. وقد يكون الأكل في "السنوتة" أو نهر تحت سطح الأرض، مع فرق الفنون الشعبية من المايا للترفيه.

6 إذا كان لديك الوقت، هناك ثمانية متاحف في ميريدا، ولا يفوتك متحف التاريخ الأنثروبولوجي.

7 ضريبة المغادرة حوالي ثمانية عشر دولار أمريكي للشخص الواحد ولكن هذه الضريبة تدرج عادة في تذكرة الطيران.

البلاذ، ويبدو، كما قال المرشدون السياحيون. أن "الاحتلال لم يكن تاماً أبداً".

والبعض من أكثر عجائب بقايا مدن هؤلاء القوم القديمة يقع على بعد ساعتين بالسيارة من المدينة، وميريدا قاعدة مثالية لرحلات إلى مدن المايا الكبيرة والعديد من المواقع الأثرية الأخرى في يوكاتان، وغالبا ما تسمى "باب عالم المايا". وحتى نتذوق أول مكان من هذه المدن القديمة، توجهنا بالسيارة إلى زبلجالتون (وهو مكان فيه كتابة على الحجاره)، ثلاثة وعشرون كيلومترا شمال شرق ميريدا، وكانت في الفترة السابقة على العهد الإسباني، محورا تجاريا هاما ومركزا رئيسيا للثقافة الماياوية، وهي أيضا واحدة من أقدم المدن الهندية في أمريكا الوسطى، حيث أن تاريخها يعود إلى ثلاثة آلاف سنة، ويعتقد أنها من أطول مدن المايا زمتا من حيث بقائها عامرة بالسكان. مساحتها تغطي خمسة وستين كيلومترا مربعا، وكان عدد سكانها يوما ما نحو أربعين ألف نسمة، وهي مشهورة بمبنى يعرف باسم "بيت الدمى السبعة"، وهو نوع بدائي من مرصد المايا والذي هو بمثابة دليل على وقت البذر والحصاد.

وجولنا بين الأطلال، متعجبين من عبقرية بناء المايا القدماء، ثم غادرنا إلى شواطئ بروغريسو القريبة حيث الامتداد الطويل لرمالها النظيفة البيضاء، ومرسى يمتد لمسافة 7 كلم في البحر، وهو ثاني أطول رصيف في العالم، بني في الأغلب، لسفن الرحلات السياحية، فهو مثالي لوقوف هذه السفن حيث قد يرغب السياح لزيارة أنقاض المايا القريبة، والسياحة في هذا الميناء الآن صناعة مزدهرة، وقرية صيد الأسماك التي كانت هادئة ذات مرة، هي الآن مدينة يزيد عدد سكانها على أكثر من خمسين ألف نسمة. وفي بروغريسو توقفنا عند مطعم البيلكان.



Historic Structure

مبنى تاريخي

وسط المدينة أمام حركة المرور ويستطيع المرء الجلوس في المقاهي في الهواء الطلق أو التجوال بسلام، والاستمتاع بالمعمار الأندلسي-الاستعماري للمدينة القديمة، في حين يقدم له ترفيه فولكلوري، وحفلات موسيقية وأغان في الشوارع.

وعندما تجولت في الشوارع أثناء أول يوم أحد لي في ميريدا، بدا لي أن نصف سكان المدينة قد خرجوا للتنزه حول الزوكالو، وهم يرتدون خيرة ثيابهم، في حين أن النصف الآخر مع شردمة من السياح، وقفوا يتفرجون على فرق الفن الشعبي في الشوارع المحيطة. كان عالما من الإثارة والجمال. ومن الزوكالو، مشيت على طول شارع 47 إلى شارع 60 حيث درت إلى باسيو دي مونتيو، شارع "الشانزليزه" لميريدا، وهو واسع وتحوطه أشجار جميلة، وهو من أرقى شوارع المدينة، وعلى جانبه العديد من قصور المليونيرات في القرن التاسع عشر، والمصارف والفنادق والمطاعم، ويؤدي إلى بروغريسو مع شواطئها، وهي أقرب الرمال إلى المدينة حيث تبعد عنها بحوالي ستة وثلاثين كيلومتراً.

ومن هذا الشارع الشبيه بالشوارع الأوروبية، يمكن التنقل بشكل مريح في عربة تجرّها الخيول، بتكلفة قدرها عشرة دولارات في الساعة، إلى الميركادو مونسبال (السوق البلدي)، والذي هو نقطة جذب رئيسية لمعظم الزوار، وتشغل نساء المايا البائعات، واللواتي يعرضن بضائع الحرف اليدوية وغيرها من الحاجات، كل شبر تقريباً من أراضي هذه السوق الكبيرة، ومثل غالبية السياح الآخرين، فقد استمتعت بشذا الناس الذين تم القضاء على حضارتهم منذ عدة قرون وهم لا يزالون موجودين حتى الآن ومزدهرين. وبعد قرون من الفتح الإسباني فإن يوكاتان لا تزال معقلا للسكان الأصليين في



Historic Structure

مبنى تاريخي